المحاضرة 11:المـــــــذهب الحنبلي(01)

الهدف: التعريف بإمام المذهب، وأشهر شيوخه وتلاميذه ،والمراحل التاريخية التي مرّ بها المذهب في نشأته وتكوينه.

المذهب الحنبلي هو رابع المذاهب الأربعة المعتبرة عند جمهور المسلمين؛من حيث النشأة والظهور, وهو منسوب إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني(ت٢٤١هـ) الإمام المحدث الفقيه.

ترجمة إمام المذهب:

أولاً:اسمه،ونسبه:

هو أبو عبد االله: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني,المرَوزي, البصري نسبة, البغدادي نشأة ومولدا وإقامة, يلتقي نسبه بالنَّبي صلى الله عليه وسلم في نِزار بن معد بن عدنان.أما أمه;فهي َشيبانية أيضا; من بني عامر;إحدى قبائل بني شيبان،واسمها صفية .

ثانياً:مولده،ونشأته:

ولِد الإمام أحمد بن حنبل في بغداد, في ربيع الأول سنة **(164هـ)** فنشأ الإمام أحمد يتيما برعاية أمّه; حيث أشرفت على تربيته تربية علمية صالحة ؛ فدفعته إلى معلم الكّتاب; فتلقى عنه حتى برز بين أقرانه, كان في صباه شديد الشغف في العلم وطلبه, َوتميز في شبابه بالورع َوعفة اللسان.

ثالثاً:طلبه للعلم:

شغف الإمام أحمد منذ نعومة أظفاره بطلب العلم وتحصيله; فأقبل عليه بنَهمٍ وجدّ واجتهاد; يزاحم طلاب العلم في مجالس علماء بغداد, وهو في سن السادسة عشرة, وسافر في طلبه وتحصيله; فرحل إلى الكوفة، والبصرة,ومكة,والمدينة,واليمن,والشّام,والجزيرة,وكتب عن علماء كل بلد,حتى شغله ذلك عن التكسب والنكاح; فما تزوج ،إلا بعد أن بلغ الأربعين, وكان قد أدرك من العلم ما أراد، وأول ما بدأ به من العلم طلب الحديث. ولم يمنعه تقدم سنِّه وعلو قدِمه في العلم أن يستمر في طلبه, ويزاحم صغار الطلبة في المجالس; ليسمع ويكتب ويتعلم, من غير كلل ولا ملل.

رابعاً:أشهر شيوخه:

تلقى الإمام أحمد عن جمع غفير من أئمة العلم والدين في الحديث والفقه،وشتى أصناف العلوم, وإن كان جل اهتمامه بطلب الحديث تعظيم لسنَّة النَّبي صلى الله عليه وسلم; وقد بلغ تعداد شيوخه من ِالمحدثين, والفقهاء،

والمقرئين: نحوا من أربعمائة وأربعة عشر شيخا, وامرأة واحدة روى عنها،ومن أشهرهم:

يعقوب بن إبراهيم; أبو يوسف القاضي (ت١٨٢هـ) هشيم بن بشير (ت١٨٣هـ) ،إسماعيل ابن ُعلية (ت١٩٣هـ) وكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ) سفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ), سليمان بن داود بن الجارود; أبو داود الطيالسي(ت٢٠٤هـ) محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ) نعيم بن حماد (ت٢٢٨هـ) يحيى بن معين (ت, ٢٣٣هـ) إسحاق بن إبراهيم بن راهويه (ت٢٣٨هـ) وغيرهم كثير.

خامسا:أشهر تلاميذه

قد بلغ تلاميذه من العدد كثرة حتى أحصاهم العادون فبلغوا بهم نحوا من خمسمائة وسبعة وسبعين نفس

ومن أشهر تلامذته:
وكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ), عبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ), يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ), أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ), يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ), إسحاق بن إبراهيم بن راهويه (ت٢٣٨هـ), محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ), أحمد بن محمد بن هانئ الطائي; أبو بكر الأثرم (ت٢٦١هـ) ،مسلم بن الحَجاج النَّيسابوري (ت٢٦١هـ), عبيد االله بن عبد الكريم; أبو ُزْرعة الرازي (ت٢٦٤هـ), صالح بن أحمد بن حنْبل(ت٢٦٦هـ), حنْبل بن إسحاق بن َحنْبل (ت ٢٧٣هـ), عبد الملك بن عبد الحميد المَيموني (ت٢٧٤هـ), إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النَّيسابوري(ت٢٧٥هـ), سليمان بن الأشعث; أبو داودِ السجستاني (ت٢٧٥هـ), حرب بن إسماعيل الكرماني (ت٢٨٠هـ), عبد االله بن أحمد بن حنْبل (ت٢٩٠هـ)مهنّا بن يحيى الشامي, وغيرهم كثير.

سابعاً:مصنَّفاته:
عرف الإمام أحمد بمصنَّفاته الجامعة; التي تدل على سعة علمه،وتعدد مروياته وأسانيده, وعمق فهمه, وقد بلغت تصانيفه نحوا من ثلاثين مصنَّفا, وقاربت كتب المسائل التي كتبت عنه نحوا من مائتي كتاب.
وقد تنوعت بين مختلف العلوم الشرعية; فكتب في الاعتقاد، والقرآن وعلومه, والحديث وعلومه , والفقه.
ومن أشهر هذه المصنَّفات:

المسند: وهو أعظم كتبه وأجلها شرفا; لما حواه من أحاديث النَّبي صلى الله عليه وسلم بأسانيدها.

ومنها أيضا: فضائل الصحابة العلل ومعرفة الرجال، الأسامي والكنى، الزهد، الرد على الزنادقة والجهمية، الناسخ والمنسوخ المقدم والمؤخر في القرآن المناسك الكبير والصغير وغيرها من المصنَّفات.

تاسعا:وفاتـه:
توفـي الإمام أحمد بن حنبل ببغداد, ضحى يوم الجمعة, 12 من شهر ربيع الأول, سنة (241ه), وقد ناهز عمره السابعة والسبعين،فرحم االله الإمام أحمد رحمة واسعة, وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنَّة.

عاشرا:أطوار المذهب ومراحله التاريخية

يمكن تقسيم هذه المراحل والأطوار التي مرّ بها المذهب الحنبلي إلى أربع مراحل:

المرحلة الأُولى:طور النشأة والتأسيس (٢٤١-٢٠٤هـ)

وتبدأ هذه المرحلة من تصدر الإمام أحمد ، للدرس والفتوى سنة(٢٠٤هـ); حيث لم يتصدر لذلك إلا بعد بلوغ سن الأربعين; فقد كان قبلها يرى ضرورة التفرغ للطلب وتحصيل العلم, قبل الاشتغال في الفتيا والتدريس; الأمر الذي يعزز من مكنَتِه العلمية ،ونظرا لما كان يملكه الإمام أحمد من سعة في الحفظ والرواية, ونضوج في الفقه والدراية; توجهت إليه أنظار طلاب العلم; يستمعون إليه, ويكتبون عنه, ويستفتونه; فأصبح علمهً منشورا بين الناس; لا سيما مع عناية تلاميذه بأقواله وأفعاله, وتدوينهم للمسائل العلمية عنه في مختلف أبواب العلوم؛كالاعتقاد, والأصول, والحديث, والفقه, حتى بلغت المسائل المدونة عنه نحوا من مائتي كتاب; كُتِبت تحت نظره وإشرافه.

المرحلة الثانية:طورالنقل والتطور (241هـ 403ه)

تعد هذه المرحلة امتدادا للمرحلة السابقة; حيث كان لأصحاب الإمام أحمد دور في نقل مذهب إمامهم إلى من بعدهم من التلاميذ, من خلال الدرس والتصنيف والمراسلة; ومن ذلك ما حكاه الخلال أن الناس كانوا يكتبون إلى صالح -ابن الإمام أحمد- من خراسان ومن المواضع يسأل لهم أباه عن المسائل; فوقعت له مسائلِ جياد. ومن تلامذته الذين صنَّفوا المسائل الفقهية التي رووها عنه ورتبوها:
أحمد بن محمد بن هانئ الطائي الأثرم (ت٢٦١هـ)
وممَّن عرف من أصحاب الإمام أحمد بحلقه العلمية والتدريس: أحمد بن الخصيب بن عبد الرحمن; فقد كان مشهورا بطرسوس, وكان له حلقة فقه, ونقل عن الإمام أحمد مسائل جيادا; كما ذكر ذلك الخلاّل.

كما قام تلاميذ أصحاب الإمام أحمد بتلقي هذه المسائل عن شيوخهم واشتغلوا بجمعها, وترتيبها, والترجيح بينها, وعرفت هذه المرحلة بـ (**طبقة المتقدمين**), وهي تنتهي بوفاة الحَسن بن حامد سنة (٤٠٣هـ).
وقد برز في هذه المرحلة عدد من العلماء الذين كان لهم أثر بالغ في نمو المذهب وانتشاره; ومن أبرزهم:
أحمد بن محمد الخَلاّل (ت ٣١١هـ) الذي بذل جهدا في تتبع أصحاب الإمام أحمد, والاجتماع بهم, وكتابة ما رووا عن الإمام بالإسناد, حتى جمع مسائل كثيرة جعلها في كتابه (الجامع لعلوم الإمام أحمد), ومن وقتها بدأ ظهور الانتساب إلى الإمام أحمد, وبرز علماء المذهب ومشايخه الكبار. وظهر في هذه المرحلةِ من علماء المذهب من صار يدون فقه الإمام أحمد على طريقة المتون والمختصرات; ومن أبرز أولئك المدونين: أبو القاسم عمر بن الحُسين الخرقي (ت ٣٣٤هـ),(الذي صنَّف أول متن مختصر في فقه الإمام أحمد; جعله مرتبا على أبواب الفقه;عرف بـ (مختصر الخرقي).
ومنهم: أبو بكر عبد العزيز بن جعفر; المعروف بغلام الخلال (ت ٣٦٣هـ)
الذي عكف على كتاب الخلال بالدراسة,والاختصار,والترجيح بين الروايات ولم يتوقف جمع المسائل الفقهية المروية بأسانيدها عن الإمام أحمد في هذه المرحلة عند الإمام الخلال, بل تبعه على ذلك الحَسن بن حامد (ت ٤٠٣هـ) الذي صنَّف كتابه (الجامع في المذهب) في نحو أربعمائة جزء; جمعه على أبواب العلم.

كما برز في هذه المرحلة تصنيف المتون على القول المختار في المذهب ككتاب (النصيحة)لأبي بكر الآجري (ت٣٦٠هـ), أو على القولين; كـ (كتاب القولين) لعبد العزيز غلام الخلال, وكذا التصانيف الجزئية المفردة في أبواب فقهية معينة; ككتاب (المناسك) لابن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ.)
وبالإضافة إلى التصنيف في الفقه, ظهر في هذه المرحلة التصنيف في أصول مذهب الإمام أحمد, ومصطلحاته; كما فعل الحَسن بن حامد في تصنيفه لكتابي (أصول الفقه) و(تهذيب الأجوبة)

المرحلة الثالثة:طور التحرير والضبط والتنقيح (٤٠٣-٨٨٤ هـ)

وتبدأ هذه المرحلة من القرن الخامس حتى أواخر القرن التاسع الهجري، أي من وفاة الحسن بن حامد (٤٠٣هـ) وحتى وفاة البرهان ابن مفلح(٨٨٤هـ); فبعد أن استقرت المسائل الفقهية; برزت الحاجة إلى ضبط هذه المسائل وتحريرها وتنقيحها, وترتيبها على الأبواب الفقهية; فانتقل علماء المذهب في هذه الطبقة التي أطلق عليها اسم (**طبقةِ المتوسطين**) إلى خدمة المذهب في هذا الاتجاه; فضبطوا القواعد العامة في نقل المسائل المروية عن الإمام وأصحابه, وخرجوا الفروع على الأصول, ورجحوا بين الروايات، والوجوه, والاحتمالات, واستكملوا البحث في أصول الفقه الحنبلي, واعتنوا بدراسة الفروق الفقهية ضمن قواعد عامة, وضوابط خاصة لفقه المذهب وأثَروا المذهب بالمصطلحاتً الفقهية التيِ تميز ألفاظ

الإمام,ّ وتبين الراجح من الروايات, وغير ذلك.
ومن أبرز علماء هذه المرحلة: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء (ت٤٥٨هـ), وأبو الخَطاب محْفوظ بن أحمد الكلوذاني (ت٥١٠هـ) وأبو الوفاء علي بن عِقيل (ت ٥١٣ه)-; الذين اهتموا ببيان أصول المذهب من خلال مصنَّفاتهم التي وضعوها.
وبرز في هذه المرحلة أيضا عناية علماء المذهب بـ (مختصر الخرقي) فتناولوه بالشرح والتعليق,والنَّظم, وبيان غريب ألفاظه;حتى بلغ عدد ماصنِّف ِخدمة لهذا الكتاب نحوا من عشرين مصنَّفا,وأشهرها(المغني) للموفق ابن قُدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ);الذي كان شيخ المذهب في زمانه,هو والمجد ابن تيمية(ت٦٥٢هـ).
كما امتازت هذه المرحلة بظهور طبقة من المحققين والمنقحين في المذهب:
كشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ), وشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجَوزية (ت٧٥١هـ),وشمس الدين محمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ),وعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)
وبرهان الدين إبراهيم بن محمد ابن مفلح (ت٨٨٤هـ)

المرحلة الرابعة: طور الاستقرار (٨٨٥هـ وما بعدها)

وهي المرحلة التي تنتظم ما يطلق عليه اسم (طبقة المتأخرين), وتبدأ من أواخر القرن التاسع الهجري (٨٨٥هـ) إلى عصرنا الحاضر; وفيها استقر المذهب على ما كتبه السابقون ودونوه؛ فاكتفوا بالاختصار،والتّعليق, والتّحشية, والتّوضيح, والتّذييل, والشّرح, وبعض الاختيارات ،والاجتهادات المفرعة أو الزائدة عليها, ومع ذلك لم تخل جهودهم من تحقيق وتنقيح, وترجيح للروايات المتعددة في المذهب ،ومن أبرز المحققين والمنقحين في هذه المرحلة: أبو الحَسن علي بن سليمان المرداوي (ت٨٨٥) موسى بن أحمد الحَجاوي (ت٩٦٨) منْصور بن يونس البهوتي(ت١٠٥١ه) ... ويلتحق بهذا الطور ما بذل ويبذل من جهود علمية معاصرة لإحياء ونشر المذهب; تحقيقا, وتأليفا, ودراسة; حيث قامت كثير من مراكز البحث العلمي، والجامعات الإسلامية على مستوى العالم العربي والإسلامي باتخاذ التحقيق وسيلة من وسائل الحصول على شهادات الدراسات العليا,هذا بالإضافة إلى الجهود الفردية والجماعية في نشر تراث المذهب الفقهيّ والأصوليّ.